الأشدق فاستشاره عمرو فى الذهاب إليه فقال له يا أبا سعيد واﷲ لأنت أحب إلى من سمعى وبصرى وأرى أن لا نأتيه فان تبيعا الحميرى ابن امرأة كعب الأحبار قال إن عظيما من عظماء بنى إسماعيل يغلق أبواب دمشق فلا يلبث أن يقتل فقال عمرو واﷲ لو كنت نائما ما تخوفت ان ينبهنى ابن الزرقاء وما كان ليجترىء على ذلك منى مع أن عثمان بن عفان أتانى البارحة فى المنام فألبسنى قميصه وقال عمرو بن سعيد أبلغه السلام وقل له أنا رائح إليك العشية إن شاء اﷲ فلما كان العشى يعنى بعد الظهر لبس عمرو درعا بين ثيابه وتقلد سيفه ونهض فعثر بالبساط فقالت امرأته وبعض من حضره إنا لا نرى أن لا تأتيه فلم يلتفت إلى ذلك ومضى فى مائة من مواليه وكان عبد الملك قد أمر بنى مروان فاجتمعوا كلهم عنده فلما انتهى عمرو إلى الباب أمر عبد الملك أن يدخل وأن يحبس من معه عند كل باب طائفة منهم فدخل حتى انتهى إلى صرحة المكان الذى فيه عبد الملك ولم يبق معه من مواليه سوى وصيف فرمى ببصره فاذا مروان عن بكرة أبيهم مجتمعون عند عبد الملك فأحس بالشر فالتفت إلى ذلك الوصيف فقال له همسا ويلك انطلق إلى أخى يحيى فقل له فليأتنى فلم يفهم عنه وقال له لبيك فاعاد عليه ذلك فلم يفهم أيضا وقال لبيك فقال ويلك أغرب عنى فى حرق اﷲ وناره وكان عند عبد الملك حسان بن مالك ابن بحدل وقبيصة بن ذؤيب فأذن لهما عبد الملك بالانصراف فلما خرجا غلقت الأبواب واقترب عمرو من عبد الملك فرحب به وأجلسه معه على السرير ثم جعل يحدثه طويلا ثم إن عبد الملك قال قال يا غلام خذ السيف عنه فقال عمرو إنا ﷲ يا امير المؤمنين فقال له عبد الملك أوتطمع أن تتحدث معى متقلدا سيفك فأخذ الغلام السيف عنه ثم تحدثا ساعة ثم قال له عبد الملك يا أبا أمية قال لبيك يا أمير المؤمنين قال إنك حيث خلعتنى آليت بيمينى إن ملأت عينى منك وأنا مالك لك أن أجمعك فى جامعة فقالت بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين فقال ثم أطلقه وما عسيت أن أفعل بأبى أمية فقال بنو مروان بر يمين أمير المؤمنين فقال عمرو بر قسمك يا أمير المؤمنين فأخرج عبد الملك من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه ثم قال يا غلام قم فاجمعه فيها فقام الغلام فجمعه فيها فقال عمرو أذكرك اﷲ يا أمير المؤمنين أن تخرجنى فيها على رؤس الناس فقال عبد الملك أمكرا يا أبا أمية عند الموت لاها اﷲ إذا ما كنا لنخرجك فى جامعة على رؤس الناس ولما نخرجها منك إلا صعدا ثم اجتذبه اجتذابة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته فقال عمرو أذكرك اﷲ أن يدعوك كسر عظمى إلى ما هو أعظم من ذلك فقال عبد الملك واﷲ لو أعلم أنك إذا بقيت تفى لى وتصلح قريش لأطلقتك ولكن ما اجتمع رجلان في بلد قط على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه وفى رواية أنه قال

لـه أما علمت يا عمرو وأنه لا يجتمع فحلان